بصبوص. جرداق. خليفة. الريس. زغيب. ساروفيم. شقير. صيقلي. عبود. غيراغوسيان

الرسّامون اللبنانيون يتحدثون عن فنّهم : آراء وبيانات

هل هناك شيء نستطيع ان نسميه « فنا لبنانيا » ، او « مدرسة بيروت » في الفن ؟ ما هو وضع الفنان الحاضر ؟ ما هي مشاكله ؟ ما العلاقة القائمة بينه وبين الجمهور ؟ هل عليه واجبات نحو مجتمعه؟ الى اي حد يتمتع بحرياته ؟ ما الذي يحاول ان يفعله ؟ ما هي مطامحه ؟ ما هو « بيانه » الفني ؟ هذه الاسئلة ، واخرى ترتبط بها ، توجهت بها « حوار» الى عشرة من ابرز الرسامين في لبنان ، فكانت الاجابات التالية.

ميشال بصبوص

لا . لا «فن لبناني» . لا فروقات بين فننا وفن سوانا من الشعوب ، تميز هذا عن ذاك. عندنا « فنان لبناني » ، بمعنى ان لديه تذكرة لبنانية . وهو شديد التأثر المبالغ فيه بالفن الغربي ـ أو بالاحرى العالمي ، اذ لا افرق بين شرق وغرب . انصرافه الى الغرب ، وانفتاحه اكثر من الفنانين العرب الآخرين ، ينجيه من الوقوع مثلهم في هوة الفوكلور .

الفن في لبنان لا يزال في طور بدائي جداً . لا اعرف الى اي مدى يمكن للفنان اللبناني ان يتوصل من خلال عمله الفني الى الاساس ـ الى الجذور . ذلك لانه ليس عندنا تراث سابق وجذور سابقة ، ونحن لا نزال نفتش تفتيشات كثيرة ، ولم نصل بعد الى العمق .

في القضايا الاجتماعية عندنا ، في المناخ الثقافي والاجتماعي العام ، تناقضات كثيرة . الى اي مدى يمكن ان يتوصل الفنان من خلال هذه التناقضات الى التعبير عن سر البلد ـ هذا امر لم نتوصل اليه مطلقاً بعد . الفنان اللبناني الآن يعطي بدون اي حس او شعور او تفكير داخلي بهذه القضايا التي هي من صميم واقعنا .

غالبا ما اتساءل : ما الذي يمنعنا ان نكون تكملة لحضارتنا القديمة ؟ أهي اسباب اجتماعية ، ام دينية ، ام ان الانسان بحد ذاته ليست عنده الحرية ، ليس عنده الوعي الكافي ، لان يعرف اين نقطة انطلاقه ؟

هذه قضيتي ، واعتقد ايضا انها قضية غيري من الفنانين الذين يعيشون في المناخ ذاته الذي اعيش فيه. فنانينا يهرب من واقعه وحقيقته ، يشتغل كما يشتغل الغربيون ، فيقع في

تقصيرات الغرب (بوب آرت، الخ) التي لا علاقة لنا بها . فينا شيء من السطحية الخاطئة. نتأثر بالغرب ونحن لا نعيش كالغرب .

مناخنا الحضاري مناخ بلبلة . الفنان هنا ليس وحده المسؤول عن الضياع الذي هو فيه . مسؤولية كبرى تقع على عاتق العلماء ، علماء التنظيم الحضاري الذين لا يوجدون عندنا . كل ما عندنا خليط مبندق . هؤلاء جماعات مفروض فيها ان تساعدنا. انا لا اعرف ما هي امتي ، ما هو تفكيرها ، ما هو اساسها ـ اذاً على ماذا ابني ؟ انا اوتوماتيكياً اقع في مشكلة كبرى ، لا احد يحلها لي او يساعدني على حلها . الناقد ، الذي من واجبه ان يتحمل هذه الهموم عن الفنان ويحل هذه المشاكل له ، غير موجود عندنا .

انا لبناني ولكني لا اعرف ما هو تاريخ لبنان ، ما هو لبنان ، اين لبنان ، من اين ، الى اين . لا اعرف . ليس عندي تاريخ واضح . خليط الشعوب في لبنان ، ماذا يريد ، ما ما نقطة انطلاقه ـ كي اشتغل معها ، كي اتفاعل معها ؟ لست ادري .

كل منا يحل الامور بشكل مختلف . فكيف تريد ان يتمكن فناننا من التحرر من كل هذه العوامل ويبني لنفسه شخصية معينة ؟ لا يهمني ان يكون لفناننا شخصية مميزة او لا يكون : الطفل حين يشخبط له شخصية مميزة ـ انما المهم كيف يتفاعل الفنان مع ما هو حوله ويتجاوب معه .

المناخ الاجتماعي يؤثر على فناننا بشكل مخيف، مسموم. فنانونا لا يسند واحدهم الآخر ـ على العكس: يهاجم واحدهم الآخر. المنازعات عندنا ليست فنية فكرية ، بل شخصية . ليس عندنا اي فنان يمكن ان نتخذه مثلا للفن اللبناني . ليس عندنا من فيه وعي وعمق وشمول فنقول : هـــذا مثل ، ويجب ان نمشي خلفه . في العمل الفني ، كما في الفكري والعقائدي ، ينبغي ان يكون هناك قائد ، نمشي وراءه . اذا لم يوجد ، كنا نمشي كما يمشي دخان سيجارة . هذا القائد يفرض ذاته بطريقة عمله ، وعمقه ، وجهوده ـ لا عن طريق الصدفة ، والعياط ، والدعاية ، والمناسبات .

ليس من فنانينا من يؤثر فعلا في الخارج ـ بل ليس من يؤثر فعلا في بلادنا ذاتها ، بل في صقع محدود منها . الفنانون هنا في معزل حقيقي واحدهم عن الآخر . يرون بعضهم بعضا اكثر مما يجب ، لكنهم لا يبحثون في اية قضايا اساسية. عندنا تهرب دائم من القضايا المهمة. لا حب عندنا ـ بل خوف .

المجتمع هنا متأخر جداً. الفئات التي كان يمكن للفنان ان يتفاعل معها فيه ـ الكتاب، النقاد ، الخ ـ لم يتفاعل معها ابدا ، لم يحدث انسجام بينه وبينها مطلقا . هذا يخلق حالة مصطنعة .

فئات المجتمع التي تستطيع ان تعيّش الفنان ، ان تساعده على الاستمرار ، بشرائها

لاعماله ، قليلة قليلة . ليس عندنا جهاز يمكن بحاثة في اي موضوع من المواضيع الفكريةاو الفنية او العلمية ان يقوم بابحاثه وتفتيشاته . لهذا نجد فناننا مجبرا على ان يحتمل عدة مسؤوليات وواقعاً تحت عدة مشاكل لا اعرف كيف يمكن ان يتخلص منها ـ كي نصل الى فن لبناني له ميزة معينة ورمزية معينة وشخصية معينة .

فناننا يشكو من الامراض ذاتها التى يشكو منها مجتمعنا. المرأة، التي هي عامل رئيسي في الحضارة ، لا نشركها في اعمالنا الحضارية الكبرى . الفنان هنا يطغى على تفكيره التفكير الاجتماعي في بلدنا ، الذي لا يهتم بالمرأة ولا يمنحها الحرية .

لا اعتقد ان الفنانمسؤول امام فئات المجتمع الغير المثقفة. لاعلاقة بينه وبينها مطلقاً . هناك سلطات ، هي مسؤولة امام هذا المجتمع ـ لا الفنان . مسؤولية الفنان ان تكون لديه المقدرة على التفاعل مع فئة واحدة من المجتمع يمكن ان يتفاعل معها وتتفاعل معه . ليس من اختصاصه التفاعل مع الفئة الاخرى في المجتمع .

في بعض البلدان فرضوا على الفنان ان يساير المجتمع . كانت النتيجة ان الفن تدهور . اعتقد ان الفنون في البلدان الاشتراكية اقل ابداعاً منها في البلدان التي تعطي الفن حرية اكثر . ليست مهمة الفنان ان ينزل الى الشعب ، بل ان يرفع الشعب اليه . فرضوا في تلك البلدان على الفنان ان يشتغل للشعب ، في حين ان الواقع هو انه يجب ان يحدث كل شيء بارادة الفنان لا بارادة اي آخر .

الحرية المطلقة لازمة تماما للفنان . هنا بعضالحد منها ، بشكل غير مباشر ـ هذا نابع من الرواسب الدينية الموجودة لحد الآن في رؤوس بعض الموجهين . لان قسما كبيرا من قادة الحكم ليس فيهم مثقفون كبار بوسعهم ان يعطوا توجيها انسانيا شاملا . من اجل هذا نجد ان الفنان هنا ليس له معنى بعد . على انه ما من شك اننا قد قطعنا مرحلة كبيرة ، نسبياً ، في فترة قصيرة جدا . وعندنا امل في ان نتغلب على كافة الصعوبات التي تجابهنا وان نصمد امام المناخات السامة التي نتنشقها .

انا امر الآن في فترة استفهام كبيرة طويلة . امر ما بين الشك والدراسة . احاول ان اصل الى اعماقي . التكنيك لم يعد يكفي. مشكلتي مشكلة انسانية في اعماقي.وليست مشكلة استاطيقية بحتة . من اجل هذا توقفت عن العرض في الوقت الحالي . انا لا اعرف من اين ابتدىء والى اين اذهب . هذه تجربة قد تستغرق وقتا طويلا حتى اتوصل الى حلها ونهايتها .

المرحلة الاخيرة التي توصلت اليها تجعل طموحي ان اعرف ذاتي . من انا ؟ لماذا انا ؟ لاي شيء انا ؟ ثم ان معرفة ذاتي ، بيني وبين نفسي،غير كافية:يجب ان اعرف الجماعات

التي اعيش بينها ـ ماذا تريد ؟ ماذا تعمل ؟ الى ماذا تهدف ؟ يجب ان اكتشف الصراحة مع الآخرين كي اكتشف صراحة ذاتي. (اقصد بالآخرين الآخرين الذين يهمني امرهم). مشاكل ، علامات استفهام كثيرة تثور في اعماقي باستمرار . لا اجد احدا يسألني : ما مشكلتك اليوم ؟ لماذا انت ضائع ؟

اظن اني الشخص الوحيد الذي حاولت منذ ثماني سنوات تقريباً عدة محاولات خارجة عن نطاق عملي كفنان . جربت ان اساعد المسرح ، والموسيقى ، وان ارتب لقاءات مع الادباء والشعراء ، كي نتفاهم . كانت غايتي ان احتال على وضعنا الذي يعيش فيه كل واحد لوحده . انشأت راشانا. هربت من مناخ بيروت التجاري المادي المفطس . كانت تجربة حلوة جداً ، وكانت لها اصداء عديدة . لا سيما في حال المسرح . المسرح الذي له تأثير جماعي اكثر مما للفن التشكيلي ، والذي هو اكثر اللغات مباشرة وتجاوبا مع الجمهور . لكن هذا كله كان على حساب اعمالي الفنية الخاصة وطموحي الخاص . اضعت فيه فترة طويلة من الزمن ، وضحيت بكثير من حبي واخلاصي ومالي ، وهي من صلب حاجتي في الاساس . ركضت كثيرا في سبيل ذلك كله ، مما اضطرني الى الابتعاد عن مشكلتي الاولى : مشكلتي مع اللون ومع الصخر .

حليم جردَاق

لا اعتقد ان ثمة ما يمكن ان نسميه « فنا لبنانيا » ، ذلك لاننا ما نزال مبتدئين ، وفناننا لم يعطِ حتى الآن كل ما في وسعه ان يعطيه .

لكن فناننا ، بالقياس الى اقرانه في البلدان العربية الاخرى ، فيه شيء مميز : هو انه اشد انفتاحاً منهم واكثر جرأة .

الانفتاح مفيد . كل انفتاح مفيد ، ولا تقدم بدون انفتاح . لكن يجب وجود خلفية توجه هذا الانفتاح ، والا ضاعت الشخصية ، وسيطر الخارج . في الفن اللبناني يحدث شيء من ذلك ! بفعل الانفتاح تضيع شخصيتنا احيانا . لكن ان لم يضع الانسان نفسه فانه لن يجدها .

ليس مهما ان يكون الفن محليا وان تدور مواضيعه على اشياء من صلب الوطن . المهم هو الموقف الذي يتخذه الفنان تجاه الاشياء ، الموقف العميق في النفس . بعض الفنانين في بلداننا الاخرى يركزون على المواضيع المحلية التي تمثل البلد. غير ان الفن الكبير لايمكن ان ينحدر الى مستوى الارتيزانا هذا ، التي تظهر محيط الفنان المباشر الضيق ولا تمس اعماق النفس . الفن يتخطى ويتعدى هذه الاشياء الخارجية ويصل لاعماق الانسان

النفسية ، التي يتشارك فيها جميع افراد البشرية . انه يصل الى المناخ الفكري العام للانسانية .

اللوحة تكون لبنانية (او عراقية او سورية او مصرية) ان هي عكست العادات والازياء في هذه البلدان ـ وهذه ليست ابدا الاشياء الوحيدة التي تعبر عن الناس والجماعات؛ هذه اشياء عابرة . بوسع الفنان الا يعبر عنها مطلقا ـ وبالوقت ذاته ان يعبر تعبيرا حقاً عن نفسية بلاده ويظهر مدى نشاط الفكر فيها. والواقع انه بقدر ما تكون اللوحة بعيدة عن المهارة والارتيزانا تكون عملا فنيا مهما يعبّر عن نفسية الشعب وعن « صحة » الفنان وعافيته الروحية .

فنانونا سريع في التقاط الاشياء من الخارج. و هو ايضاً سريع الوقوع في المهارة اليدوية. انما المهم ليس الالتقاط والمهارة ولا عمل الاشياء التي تروق العين للوهلة الاولى .

فنانونا ، بالرغم من مظاهر التجديد ، « عاقلون » جدا . وهم يجتهدون في ان يعملوا الاشياء التي يعملها الغربيون ، كما يرونها هم ـ يجتهدون في ان يكونوا تلاميذ يحظون برضى معلميهم .

لكن الفن اليوم لم يعد مجرد هذا كله . الفن فيه مخاطرة وفيه ارتجال ، وهو يصدر عن الصميم ويبتعد عن الناحية الصناعية . اني افضل ان ننتج اشياء ابشع مما ننتج الآن ـ لكن ان تكون فيها اصالة اكثر وان تكون صادرة عن عمق وعن حرية ـ من ان ننتجها لمجرد ان نرضي الاغنياء والمشترين . عمل الفنان ليس تزيين بيوت المشترين . فنه يجب ان يكون مجازفة . ان يكون طريقة حياة .

الحرية لا يستطيع احد ان يوفرها لاحد او ان يهبها لاحد . يمكن لانسان داخل سجن ان يكون حرا . قد يستطيعون ان يعرقلوا سير فنان : ان يوقفوا عنه المواد والقماشات والالوان ـ لكنهم يعجزون عن حجز حريته كانسان وفنان .

الحرية متوفرة هنا، لحسن الحظ . متوفرة ، لانه ليست ثمة قاعدة يُطلب الى الفنانين ان يتقيدوا بها . لا قيد على الفنان الا ما يفرضه هو على ذاته من قيد .

الحرية متوفرة ، لكن كثيرا من الفنانين لم يصبحوا بعد احرارا . يسمحون لضغوط خارجية غير مباشرة بأن تؤثر عليهم : كالسوق الفنية والغاليريات وتجار الفن . لكن اذا كان الفنان على استعداد لان يضحي ، وتوفر لديه النشاط النفسي ، استطاع ان يتحرر من هذه الضغوط .

العمل الحر ، في نظري ، هو الذي تنبثق دوافعه عن الانسان نفسه . يجب ان يحس الانسان بدوافع ليكون حرا ـ لكنه ايضا يجب ان يكون واقفا وقوفا تماما على اسباب هذه الدوافع : اذا ظلت تجيئه من المجهول لم يكن حرا .

الحرية موجودة عندنا، لكنها اشبه بحرية الناخبين: موجودة ، لكن مقرونة بضغوطات غير مباشرة . مهمة الفنان ان يستفيد من الحرية الموجودة نظريا وان يستغلها . يجب ان يؤثر هو في المناخ الفني وتجار الفن ، لا ان يتأثر هو بهم .

الفنان يُخلق في بيئة ، في اسرة ، في امة – بشرية ومادية . هو «مُبَرْوَز» فيها . هذه البيئة هي التي تغذيه . هي الجذور وهو الزهرة . المهم انه هو فنان ، والبيئة ليست فنانة . البيئة تقدم له العناصر ؛ تقدم له القاموس . وهو ، كفنان ، مفروض فيه ان يعطي شيئا للبيئة . لا ان يرجّع الوضع الذي البيئة فيه – بل ان يضيف اليه ، ان يكمله . فهي قد اوصلته الى اقصى ما بوسعها ان توصله اليه – وهي تنتظر منه ان يزيد عليها ، وان يتفنن في الزيادة . هذه البيئة ، كيما تكون له حريته وكيما ينتج انتاجا جيدا ، يجب الا تفرض عليه قيودا – بل ان تثق به ويثق بها ، ليكون ما يعطيها افضل مما اخذ منها .

انا احب الطبيعة – ولو ان كل ما اعمله اجرب فيه ان يكون ابتداعا مجردا واترك تعيينه للون لا لي أنا ولمهارتي الخاصة . الطبيعة تحمسني على العمل: لكن لا لاعمل مثلها، بل كما يحمسني الدخول الى متحف فنان عظيم على الركض الى محترفي والعمل ، لا لاقلده بل لاشتغل كما هو اشتغل . انا لا اتنكر للطبيعة : هي المهماز والمحرض. هي الباعث الى العمل الكبير ، لا الى التقليد . هي زميل لي – هي فنانة كبيرة ، لكنني لا اشعر تجاهها بهول ، لا اشعر امامها بصغري . انا لا ارى الطبيعة عملا كاملا منجزا ، بل شيئا يجري عمله باستمرار ، عن طريق الانسان – الذي يتمم هو الطبيعة .

اغلب فنانينا اذ ينتجون فنا لا ينتجون في الواقع فنـا – بمعنى انهم يعرضون علينا انفسهم ، لا الوانا . في حين ان عليهم ان يعرضوا علينا قوة اللون ، ومزاجه ، وما الذي يحكيه – لا مزاجهم هم ، وحالاتهم النفسية ، وافراحهم واحزانهم وامراضهم . بعض لوحاتهم لا تفيد احدا عدا علماء النفس . الفنان يجب الا يتوسل اللون ليعبر عن مشاكله ، بل ان يحرر اللون ويدعه هو يتكلم . يجب ان يصغي اليه ، لا ان يريه فصاحته . اللون يجب ان يعبر هو عن نفسه من خلال الفنان . هذا هو فن التلوين .

لي انا ، اللون يحكي اشياء واشياء . لا اراه « لصقة » على شيء، بدون وجود مستقل، بل اعتبره كائنا حيا ، له حياته الخاصة ومزاجه الخاص وشخصيته الخاصة ، له وجوده المستقل عن الشيء الذي هو عليه . اذا لونـا شيئا فكأنا اعطيناه روحا . بل انهم الآن يجربون ان يعالجوا المرضى ويشفوهم بالالوان . لانها شيء فاعل ، مادة النفس . اللون يتكلم . له عالمه ، له مملكته الخاصة .

طموحي ان ادخل هذه المملكة ، احادث من فيها ، اعاشرهم . وان أدخل العالم الى

هذه المملكة ، لا الى حياتي الخاصة . ان تكون علاقتي بالالوان قوية ، بحيث تستأنس بي ، وتجيئني ، وتعاشرني – كما تجيء « النعمة » . في تعاملي مع الالوان يتاح لي مجال ان امارس الحرية الحقيقية : التي اعتقد ان فيها يكمن معنى الحياة ، معنى الانسان .

اريد ، بالطبع ، ان يشاركني محيطي في تذوق ما اعمله . واريد ان تشجع اعمالي الغير على حب الحرية والتنزه عن المصالح الصغيرة المباشرة التي تشغلهم عن الحياة الحقيقية : التي هي الحرية والعمل الحر . بواسطة العمل الحر الصحيح احس اني فعلا اكون ، اوجد، كذات واعية . هذا لا احققه الا عن طريق اللون وعملية التلوين . اللون ادمانٌ عندي . انا حشاش الوان .

جـــان خـــليفة

مدرسة بيروت ! فن لبناني ! انا لا اؤمن باي شيء يسمى بهذا الاسم . هذا خلطة كبيرة . ان كل حديث يركز على الفوكلور في الفن او يهدف الى قومية فيه ، حديث رديء ، يردنا للوراء .

الفن هنا وفي كل مكان هو نزعة عالمية . لا هوية له . الفنان (للاسف) له هوية، تذكرة نفوس ، جواز سفر . اما فنه فعالمي .

لا مجال اليوم لفن محلي : عصرنا عصر سرعة ، والمسافات والابعاد الغتها الطيارات والدواليب والصواريخ .

قبل مدة هبت هنا ثورة على الفنان اللبناني الجديد ، على فنه التجريدي . سموه فناً صهيونياً ! طلبوا من الفنان ان يعمل فنا « وطنيا » ، فيه العواطف والاشكال الوطنية واخبار لبنان ومناظره الطبيعية . ارادوا فنه ان يكون البوما لوزارة السياحة والاصطياف . ارادوه هو ان يصبح مصورا لكتاب رستم عن لبنان . هذا ليس دوره او دور فنه . راحوا يشدون فيه للوراء . كانت في البلد موجة سياسية من هذا النوع . اقنعوا الجمهور ان الفنان الذي لا ينسج على هذا المنوال هو فنان غير لبناني . خطأ فادح . القومية في الفن شيء ينبغي الا يكون له وجود . للقومية طرق اخرى غير هذه الطريق.

الفردية في الفن شيء مهم جدا . الفنان الآن فردي لاقصى حد . هذا ما يميزه ويعطيه اهمية .

الفن اليوم يتجه نحو الاشياء الكبيرة جداً ـ اللوحات الشاسعة ، الجدرانيات ، النحت الضخم الشامخ . صار نوعاً من التعمير ؛ صار بيتاً كبيرا نستطيع فيه ان نسمع موسيقى

ونرى الوانا . الفن الذي نعيش فيه اليوم يشبهنا تماما . بهذا المعنى هو فن لبناني ـ لا لانه يمثل رجلا لبنانيا يلبس عباءة وشارباه كبيران .

فناننا حر ، من حيث انه متروك لنفسه ولذاته . انه اكثر حرية حتى من فنان عصر النهضة ، فهذا كان محميا من ارستقراطية الكنيسة او الملك ، فكان عليه ان ينفذ ما يطلب اليه تنفيذه من نتاج. فناننا اليوم لا يطلب اليه احد ان يصنع شيئاً ـ انه يخترع اختراعاته الفردية الشخصية .

بعض فنانينا مكبلون من الناحية المادية . لانهم بحاجة الى المادة ، كيما يحوّروها ويعطوا بها تعبيراتهم واختراعاتهم الفنية الفردية . غير ان هذا التكبل هو حد من وقتهم اكثر منه حدّا من حريتهم . اذ يصبح لزاما عليهم ان يدوبلوا اعمالهم كي يصلوا الى المادة ، فيضيع نصف حياتهم في هذه الازدواجية ـ والحياة قصيرة جدا. هذا هو الجانب المأساوي في حياة الفنان المعاصر ، في كل مكان .

في كل مكان: الا ان في الدول الراقية نوعا من الحماية والامان للفنان. وهذا ما ينبغي ان يجري عندنا : حماية غير مشروطة ، وتفهم لقدر الفنان وقيمته ، وحرص على تأمين الناحية المادية له فلا يبذر جزءا كبيرا من حياته . هذا قد يجري عندنا خلال السنوات العشر القادمة . عندئذ ستكون عندنا ارستقراطية فن جديدة ، ونهضة لا مثيل لها .

المجتمع اللبناني مجتمع جيد . ممتاز . خاصة من ناحية اقباله على المعارض ، وحرصه على ان يرى ، وان يرى الافضل .

غير ان بين فناننا وبين جمهورنا « وسيطا » ـ هذا الوسيط لا يؤدي دوره على الوجه الذي يجب ان يؤديه عليه . فلا هو بالناقد الفني كما يتوجب على الناقد ان يكون ، ولا هو بالصحفي الامين المخلص . انه يُظهر الفنان للجمهور على غير حقيقته . ولا يعرف ان يشرح آثاره للجمهور ويفسرها له بعمق . ولا هو يفسح المجال الى الفنان كيما يتكلم بحق الى الجمهور . انه يخلق في الواقع نوعاً من التشويش المضرّ .

مسؤولية الفنان نحو الجمهور مسؤولية لا مباشرة . انا لست ضريب معول ، لتطلب اليّ ان اقدم حائطاً . انا اعمّر لوحتي على هواي ، لاني انا اخترعتها ، واؤلفها لنفسي . عندما ابنيها لترضي ذوقي كفنان (واعتبر ذوقي هو المقياس الاعلى لذاتي)، فاني اكون قد اديت خدمة لا مباشرة للمجتمع . لاني انا المهندس ، وليسوا هم المهندسين . اهندس لوحتي لارضي ذوقي ـ لا اذواقهم هم . اذا فعلت ما يريدون ، لا ما اريد انا ، وقعت في مومسة ، واهلكت نفسي وذاتي . لان فني والحالة تلك لا يكون « عمل حب » ، كما ينبغي ان يكون ، بل ارضاء وامتاعا لفلان او لعليتان ، تماماً كفن رقاصة في كاباريه .

لا اعرف ما الذي يميز فني عن فن سواي . انا لم اقارن قط بين عملي وعمل اي فنان آخر . انا لا اعتقد ان عملي يشبه عمل اي فنان آخر على الاطلاق . عندما ازور معرضاً ما ، في اوربا او هنا ، فانا ازوره كمتفرج ومشاهد . حين ارى صوراً لفنان ما تشبه صورا لفنان آخر اعرفه ، او فيها تأثير قوي منه ، يخف تقديري له ، مهما كانت قوته التقنية . قد يقلد شاعر ما بودلير وينجح في تقليده . لكنه اذا نجح فانما هو بودلير صغير، وانا لا اكتفي الا ببودلير ذاته . كثير من فنانينا ينجحون ماديا وشعبيا « على حجة المرحوم» - نتيجة لانهم يقلدون فنانين كبارا لا نتيجة لان اعمالهم هم كبيرة. ومن الناحية الاخرى هناك بعض فنانين عندنا غير ناجحين الآن وقد يصبحون «مرحومين» في المستقبل ويقلدهم سواهم فيشتهرون « على حجتهم ».

طموحي هو ان اعيش كانسان حر في بلد حر . وقتئذ كل شيء سيكون في محله ، وسيكون حسنا .

عـــارف الريّس

ليس ثمة فن لبناني . ثمة فنان لبناني ، له طابعه ، له حساسيته ، له حس خاص في الوانه وفي النور الساحق في لوحاته . لكن لا شك انه ليس عندنا طابع وطني ، يتأتى عن اعمال انسانية سابقة تجيء مع الوراثة ، كما هو الحال في العراق ومصر او في ايران .

فينا شيء من الحضارة المتوسطية ، التي هي جامعة لكل الحضارات . نحن منفتحون ابدا ، وانتباهنا يتجه دوما الى ما وراء لبنان ، الى الخارج . الحلقة الفكرية التي نحن فيها لا تني تتحرك وتبث تيارات الى العالم كله، لكن مركز البث هو في الواقع البحر المتوسط، وعملية البث والخلق تجيء من عالم المتوسط الذي نحن جزء منه . نحن عرب قبل كل شيء، لكن الفكر غير متوقف ، والفكر العربي منسجم مع الفكر الغربي ابدا — رغم نكران الغرب له .

ما في لبنان من فن ابتدأ مع رعيلنا نحن — من حوالي عشرين سنة . كنا في بداية التقاء بالعالم الآخر . كبرنا سوية مع العصر . فكانت الملاقحات الفكرية وتفاعلاتها ونتائجها، مما ساعد على بلورة فكرة الشخص وجعلها تتفق مع حاجة الفنان —وهي مرتبطة بالحضارة والوراثة والثقافة . تمت آنذاك محاولات معاصرة . هذه المحاولات العديدة هي بادرة تفاؤل . انها شق طريق اكثر منها تعبيد ساحة .

في البلدان العربية الشقيقة ، حيث الاقليمية السياسية اخف منها عندنا، نرى ان الحس الفني فيها يسيطر عليه لون اقليمي . بينما نحن ، في اقليميتنا ، نعطي لونا عالميا . (لكن

حتى هناك نجد محاولات للالتقاء معا في اللغة البلاستيكية بمفهومها العالمي الحاضر) .

ليست ثمة مشكلة « فن محلي » – الا بالنسبة الى فنان لا يقدر ان يقشع الا محليا . افقه يقف هناك – ولا حاجة بنا الى تزوير افقه .

مشكلة الفنان هنا ضيق لبنان ، صغره . هذا يحملنا على التفكير بان المستقبل هو الاتحاد لا شك . الفكر لن يستطيع انيتطور في بقعة ضيقة ومنفصلة وفيها كزاز اجتماعي وملازمات طائفية . هذا يتناقض تمام التناقض مع الروح العلمية الواسعة . العلم لا يتقبل ان يقع الانسان في صغائر من هذا النوع .

نحن الفنانين ، بل نحن المفكرين جميعا ، في مرحلة التقاء فكري في العالم العربي كله . لا سيما في حقل الفن . على هذا الاساس نحن وحدة ، حتى من قبل التوحيد السياسي .

المشكلة التي يعانيها كل فنان،كل مفكر،عربي معاصر هي الوضع غير المركز في الشرق العربي ، والالتجاء الى الانتهازية الموقتة ، وعدم وجود الوعي العلمي الصادق لحل مشاكلنا.

هذه كلها تؤثر في فننا ، من حيث انها تشوش فن رسامينا وتعبيرهم . فناننا يحس اكثر من سواه بوجوب العمل الاجتماعي والالتزام الاجتماعي.مرات كثيرة يعجز عن ان يعبر تعبيرا فنيا عما يود التعبير عنه لانه لا يستطيع ان يتجاوز هذه القضايا الزمنية الوقتية ليصل الى التعبير الصادق في الفن . لهذا يلزمه جهد مزدوج ، ولهذا ايضا نراه يبذرطاقته بكثير من الارهاق العصبي .

كثيرا ما يدور الحديث بيني وبين العقائديين العرب من كل قطر ، وكلهم من الملتزمين ، حول استعمال الفن لتحقيق ما يريدون ان يقولوه ، لمخاطبة الجماهير . ردي الوحيد : اني في الواقع في كل مرة فكرت ان اخدم قضية عربية في حالة ثورية او في حرب ، كنت اترك ريشتي وانخرط في حزب نظامي انضباطي لاقوم بعمل ايجابي . لان هذا هو ما نحن في حاجة اليه فوق كل شيء ، وهذا هو العمل الفعال المباشر ، والمخاطبة الصحيحة . لاني لا اقبل مطلقا بان انتهك حرمة الفن ، التي هي حرمة مقدسة ، لاجل مآرب وقتية بات لزاما علينا ان نعرف من التاريخ الانساني انها عابرة لا دائمة.الشيء الدائم هو الذي يتعدى العقائد والحزبيات والقوميات – هو واقع الواقع وطبيعة الطبيعة .

رغم ان هذا لم يمنعني من القيام باعمال فنية لها علاقة بقضايا قومية – كما فعلت في سلسلة « تحية للجزائر » التي نشرتها في « حوار » (العدد ٢) . كنت اهيء اعمالي هذه لمعرض ، لكن المشكلة الجزائرية انحلت قبل ان يحين موعد معرضي ، فلم تعرض هذه الا في « حوار » . لكن عرضي وعدم عرضي لم يكن ليقدم او ليؤخر في مجرى القضية الجزائرية.الا لو اني عرضت الاعمال وارسلت ماحصلته من بيعها من مال الى الثورة الجزائرية.

لكن لا شك ان الفنان ، ان هو حقق اعمالا توضع في موضع مرموق ، بوسعه ان

يؤثر اجتماعيا وان يوجه في بعض القضايا . لا لوحده ، انما بمساعدة اقرانه من رجال الثقافة – كالصحفي والاديب والمفكر والعاملين في وسائل الاعلام . وحده لا يستطيع ان يفعل كثيرا ، لكنه برفقة جماعة ، جماعة منظمة ، يستطيع ان يفعل الكثير . مثل هذه الجماعة المنظمة هو ما يسمونه اليوم « حزبا » وما كانوا في الماضي يسمونه « دينا » .

الحزبية؟بقدر ما الفنان **عبد** لمهنته ، بالانضباط ،بالمداومة ،بقدر ما يلتقي **بالحرية** الفنية .

طبعا هناك عوامل خارجية تضغط عليه وتقلل من حريته ، لكن ينبغي عليه ان يتعود على ان يخفف ويشحل من حاجته . عليه ان يمارس ضربا من التنسك ، ولا يبقي الا على الاشياء الاساسية ، الى ان يتدبر امره . (هذا لا يمنع ابدا ان يكون على شيء من الرفاهية : الرفاهية تساعد ، اذا كان فنانا اصيلا) . مشكلة الفنان اصعب كثيرا من مشكلة غيره من هذه الناحية . عليه ان يوفق بين الكسب والانتاج . اذا لم تكن له حصانة خاصة قامت حوله قيود صعبة .

عليه ان يؤمن بالانعتاق التام من الالتزامات الاجتماعية – دون ان يؤمن ، بالطبع ، بالانفلاش والانفلات والانهيار الخلقي . عليه ان يعنى بالاجتهاد الباطني – كالدراويش .

الانسان الواعي لوجوده ، المتيقظ له ، يجد ان المهم هو ملء الحياة بما هو في الحياة ، هو الاخذ من الحياة والعطاء للحياة – « من ذهنه سقّيله » . فني انا ثمرة جميع الافكار والحواس في حياتي .

قبلي في الفن جاء كثيرون ، وبعدي سيأتي كثيرون ؛ لكني انا املك طريقي ، اؤدي رسالتي . رغم اني عملت اشياء عديدة كيما اتخلص من فني ، كان شيء اقوى مني يشدني دوما ويعيدني اليه .

لا شك ان كل ما اردت ان اثور عليه ، اجتماعيا وسياسيا ، كان فني يصفيه ويهذبه ، يجعله « يستوي » . وجود الفن خلق حياة جديدة – لي ولغيري ؛ حياة جمالية .

الفن جعلني افكر في انشاء حزب جديد ، حزب يتكون من اشخاص مثقفين ، من سائر النشاطات والحقول ، همهم الاصلاح الاجتماعي لا الانتهازية والوصول . الفكرة ما تزال تراودني ، والقضية قضية وقت ليس الا . هذه ليست مشكلتي وحدي ، بل مشكلة الشباب العربي كله في الوقت الحاضر .

انا رجل مؤمن مؤمن. الى اقصى حد ودرجة – الى درجة القشع . واعتقد ان فني هو صورة من صور هذا القشع .

خـــليل زغيب

لا يوجد اي فن لبناني ، لان كل نتاجنا نقل ، ومواضيعه غير المواضيع التي يجب ان تكون له . كل فنانينا اليوم هم اجمالا لا يفكرون كما كان يفكر المرحوم جبران – وليس لهم الخيال الذي كان له . اغلبهم اليوم يطلعون على الفن عن طريق المجلات ، ويأخذونه عنها هكذا . والفن الذي يأخذونه هو الذي يؤخر الفن اللبناني .

من مدة جاءت ليدي كوكرين واعطتني ملاحظة صغيرة. قلت : وهي يا ست ايفون؟ قالت : زغيب ، انا اعطيتهم مقالة ليترجموها ، ولكنهم ترجموها بالضد . قلت لها : ست ايفون، لا تروحي لبعيد، الحق معهم. فزّت وقالت: كيف؟ قلت لها: الحق معهم – لانهم هم نفسهم اغلبهم مختلفون وضد ، ولا واحد منهم يشتغل فنا لبنانيا .

خليل زغيب ، على رأي الاستاذ [فيكتور] حكيم – قال : كل الفنانين غيروا ما عدا خليل زغيب ؛ موضوعه شرقي لبناني ولا يزال شرقيا لبنانيا . ومثل ما قالوا من ثلاث سنين في ايطاليا – هل رأيت المقالة حضرتك ؟ – ارسلت صورا لايطاليا مع الاستاذ جوزيف ابو رزق . ما كان عندي علم . طلعت على الوزارة ، جلبوا « الاسبوع العربي » – ما زال عندي في البيت – قلت له : شو فيه ؟ قال : روح شوف. سألوا فيه الاستاذ ابو رزق : من هم الفنانون الذين جذبوا التفات الشعب الايطالي ؟ اجابهم :اولا هو الفنان خليل زعيب – العبدك الفقير – لانه عمّل يعطي لوحات وتذكارات عن ايام الماضي والحاضر . في الوقت ذاته الدكتور منتر ، الملحق الثقافي الايطالي ، بعث وراءي. جئت اليه. قال : أتستطيع ان تعمل كونترا مع الغاليري الوطنية بايطاليا ؟ كان يعزني . قال : سأكتب لايطاليا انك موافق . لكنهم خالفوها . بالضد . – ضع هذا بين هلالين .

مواضيع الفن اللبناني هي بالضد . ليست مواضيع لبنانية . هذا ما نزع الفن اللبناني بزيادة . صحيح ان الفن تقدم عندنا ، لكن بعض الاشغال اخرتنا – بعد احترامي لكل الفنانين. انا اصغر واحد فيهم. على قول جوزيف ابو رزق: يحرق دينك، اسمك اكبر منك.

يوجد اختلاف بين الفنان والمجتمع . اليوم المجتمع يا استاذ كل واحد بدّه لصالحه. وفي الفن، ايضا كل واحد بدّه لصالحه. لا احد يحب الآخر. لو تضامنوا لكانوا اتفاقا واحدا – ولفزنا على الغرب بالمائة اربعمائة . عدم الاتفاق هو الذي اخرنا. هو الذي عمل الضد فينا. هو الذي عمل الاجنبي فينا . لو تتفق الدول العربية كلها لضربت اسرائيل – لضربت اوربا كلها . لكن كيف الاتفاق ، وكل شخص بعشر ليرات سوري يبيع زغيب وابا زغيب ؟ ما في محبة في الشرق كله .

الفنان والمجتمع بالضد. كل منهما في وآد . اليوم يا استاذ الشعب العربي اجمالا اذا قلت

له : فنان عنده مستواه، قال لك : من هو هذا ؟ ابن الله ؟ انا اعتبر الصرماية هذه ولا اعتبره . الفنان في هذه البلاد مذلول . لا يفهمون مستواه ، ماذا ضحى لاجل بلاده وشعبه. الشعب اليوم ماشٍ على بسطه وعلى السرقة والنميمة والفحش ، لا يقدّر اباه في وسط بيته : لانه ما في تربية ، لا مدرسية ولا بيتية .

طبعا للفنان مسؤولية تجاه الشعب. لازم يكون مثلا لهم، وقدوة لهم. يجب الا يقول: هذا بويجي ، او عتال، او كبير او صغير، او زيد او عمرو — اذا فعل ذلك ضيّع مستواه وضيّع مركزه . لازم يختلط بين الكبير والصغير . كما قال السيد : الارض الواطية تشرب ماءها وماء غيرها . المتواضع دوما يكون مكروما .

احيانا يقولون لي : يا زغيب مش حلوة منك هيك ـ دوما تقول انك فقير . ماذا ؟ أ أقول لكم اني ملك فرنسا ؟ او هتلر ؟ يا عمي ، المتواضع يربح نفسه ويربح غيره . مضبوط يا سيد توفيق ؟

حرية الفنان هنا ؟ لأ لأ . انا بذاتي لو صحّت لي حرية لاردت ان اصبح رئيس جمهورية. لشلتك من هذا المكتب وجلست مطرحك . الفنان اللبناني محجوز ، والحرية التامة لا يعطونه اياها . لا احد يعتبره . من ناحية الماديات ، من ناحية الاجتماعيات . في العالم كله الفنان فخر بلاده — اين الفنان الذي هو فخرنا ؟ ألا يدوسنا العتال بصرماية ؟ مرتين ثلاثا بالمقهى يقول لي القهوجي: سأضربك كفين. اين ذهبت ثقافتنا ودراستنا وذكاؤنا ؟ الحكومة يجب ان تعطي الفنان اكثر من غيره ، لكنها اهملته . الوليف الذي لا يحيئني وانا حي ، ما نفعه لي وانا ميت ؟ لماذا استقبلتني انت في مكتبك ؟ هل كنت تعرفني سابقا ؟ لا. استقبلتني لاجل اسمي . لكن ضاع اسمي هنا — وضاع اسم لبنان بذلك . صرت من اجل هذا اريد ان اعمل بالضد .

وحي لوحاتي الخيال ، مجرد الخيال . لا انقل ، ولا حتى عن الطبيعة . كل ما ارسمه ارسمه حسبما اتخيله في رأسي ، وحسب طريقتي الخاصة .

نعم ، هناك اناس يعملون على طريقتي — ولكن بالضد . بالضد كما قال السفير البريطاني في الاجتماع في المعرض سنة ٦٣ . جاء وقال لي : قال لي عنك هنري سيريك واتأسف اني لم استطع ان اجيئك واتعرف عليك . فأجبته : يا سعادة السفير ، في اناس عمّل يعملوا الموضوع ذاته . فأجابني السفير وقال لي : لا يا مستر زغيب ، انت الاول ، انت الفنان البدائي الاول . انا مثل روسو ، هو غربي وانا شرقي . انا مثل وديع الصافي ، هو في الغناء وانا في الرسم .

انا افتخر اني لبناني . الدم لا ينقلب ماء . افتخر ببلدي . الامل ان نسيطر على غيرنا — بمحبتنا وبفننا وبجميع الطرق . الحكام لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا بدون الشعب.

اذا كان شعبنا غير حقيقي ، فطز على الحياة .

هدفي وطموحي ان انتج فنا شرقيا لبنانيا . موضوعي لبنان ، من الايام القديمة والحاضرة . اشرّح لبنان قديما وحاضرا ومستقبلا . هذا عمل لي اسمي ، وهذا ما عمل لي صيتي. في ٤ اقطار العالم يعرفون ان موضوعي موضوع خليل زغيب. اذا عملت مواضيع اخرى فاني لا استطيع ان أظهرها . املي ، ان الله اراد ، ان اظل اعمل ذلك .

جوليـــانا ســـاروفيم

لا يوجد فن لبناني — وذلك لانعدام التراث عندنا ، ولاننا نتأثر بمؤثرات كثيرة ، غربية وشرقية ، تجعل من المستحيل علينا ان نخلق فنا لبنانيا متميزا حقا . فننا هنا ليس فيه ابتكار وليس فيه جديد . نتأثر بالارابيسك الشرقي القديم ونتأثر بآخر بدعة امريكية في الوقت نفسه . ربما كان في هذا « طريقة لبنانية في التفكير » .

غير ان الفن هو لغة عالمية في القرن العشرين ، فلا ضرورة لان نخلق فنا قوميا مستقلا. لكن ليس بوسعنا ان نصل الفن العالمي بدون ان يكون لنا تراث ، نزيد فيه ونثريه . ولدينا في الواقع تراث يمكن الاستفادة منه — هو التراث الفينيقي . لا الفوكلور المصطنع الذي اختلقناه في الآونة الاخيرة ، وانما الاسطورة القديمة . اذا عدنا الى هذه المنابع ، اللبنانية الحقة ، امكن ان نصل الى الاصالة في فننا وفي تعبيرنا والى فن يمكن ان نسميه فنا لبنانيا .

العلاقة بين الفنان والمجتمع عندنا علاقة واهية . العلاقة بينهما ، في العادة ، تقوى وتغنى اذا كان المحيط رحبا غنيا يستطيع ان يوحي للفنان بنتاجه من جهة ، ومن جهة اخرى ان يجعله يشعر بالراحة والطمأنينة والرفاهية. في لبنان قضية الوحي ضئيلة، فنضطر ان نذهب للخارج ، لاوربا ، في ثقافتنا الفنية ؛ والرفاهية غير متوفرة . فالفنان مضطر ان تكون له وظيفة اخرى بالاضافة الى فنه ، وهذا يستهلك وقته ويقلل من وحيه .

ليس عندنا غاليريات تهتم وتعنى بالفنان فتعقد عقودا عملية معه . ليس عندنا جمهور متذوق : الجمهور يذهب للمعرض حين يتعود على فنان معين ولا يعود يذهب الى سواه. وهو يشتري مرة، ثم لا يشتري . ليس عندنا جماعون حقيقيون يجمعون باستمرار ويلاحقون الفنان ويدرسون تطوره . ليس عندنا نقاد : ليس عندنا ناقد واحد درس الموضوع اولا وتخصص فيما هو ضروري للحكم على الفن. لا بد للناقد ان يكون قد درس الفن واقام في المتاحف عشر سنوات قبل ان يحكم . يجب ان يدرس مدة تضاهي ، على الاقل ، مدة دراسة الطبيب .

اننا شعب مادي ، نهتم بالمال والاعمال اكثر جدا من اهتمامنا بالفن . لكسب الناس للفن يجب ان نبدأ من البداية : بالتربية ـ عن طريق نشر الدراسة الفنية منذ الصغر ، واضافة تعليم الفن للمدارس ، وعرض الافلام ، منذ الطفولة والصفوف الابتدائية الاولى ، وتوعية النشء الجديد الى ان المال ليس قيمة الانسان وهدفه وطموحه ، ودق هذا دقا في ادمغتهم .

الدولة هنا مهتمة فعلا بالفن ، والجهد الذي بذلته في السنوات الاخيرة للاستجابة لمطالب الفنانين جهد مشكور نعترف لها به . الدولة تحس معنا ، ونعرف انه لو كان بوسعها ان تفعل اكثر لفعلت . تعطي منحا ، وتساعد الفنانين ماليا ، وتشتري لوحات منهم . كل واحد منا يحصل ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ ليرة سنويا . ليس لنا حق ان نطلب اكثر من ذلك .

لكن هناك شيئا واحدا باستطاعتها ان تفعله فوق هذا : ان تفرض ضريبة ، بمقدار واحد بالمائة ، على كل عمارة جديدة ، وتجعلها ميزانية مخصصة للفن والديكور الفني . وان تهتم بقضية التفرغ للفنانين ـ انما للفنانين المستحقين . ان هي فعلت ذلك تكون قد قامت باكبر عمل ثقافي قامت به قط .

ليس على الفنان واجب تجاه الجمهور . اذا حددنا موقفه تجاه جمهوره كان عبدا لجمهوره ـ فلا تقدم ولا تطور ولا فن . الفنان انسان غير ممتثل ، غير نظامي . خطأ ان نظن انه يرسم لاجل جمهوره : انه يرسم اولا وآخرا لاجله هو ، لاجل ذاته . عليه دوما ان يتعالى على الجمهور ، واذا كان فنانا حقا ان يرفع الجمهور اليه .

عندما يخرج الاثر الفني من ستوديو الفنان ويعلق على حائط ما يكتسب « انسانية » جديدة . هذا هو الدور الذي يلعبه الاثر الفني : هذه هي الانسانية الجديدة . المهمة الانسانية المجتمعية الاجتماعية ليست مهمة الفنان بل مهمة الاثر الفني بعد ان يترك الرسم ويعلق على الحائط . الفنان لا « يوجد » بالنسبة للجمهور : انه « يوجد » بالنسبة لفنه فقط ـ اما الاثر الفني « فيوجد » بالنسبة للجمهور .

الفن شيء يبتعد عن مشاكل المجتمع . عندما يفتش الناس عن الفن ويجيئون اليه ، فذلك كيما يهربوا من ظروفهم هم وكيما يجدوا فيه حرية وتحررا ، لقلقهم ولانفسهم ولمشاكلهم ، ويتساموا عليها ؛ كيما يرتفعوا في داخلهم ، او كيما يجدوا ما هو الذي تتطلع اليه نفوسهم ؛ كيما يجدوا الالوهة الموجودة في اعمال كل كائن بشري ، واللانهائية فيه ، التي يسعى كل فنان حق الى ان ينقلها للآخرين . الفنان هو الانسان الذي اختير ليتحدث عن الالوهة للشعب . والشعب يأتي اليه ليخبره عنها . هذه رسالة الفنان ، وهذه مهمته ، وهذا واجبه نحو المجتمع .

الفن للناس ، للجميع ، لا لفئة واحدة معينة من الناس . انه شيء ارستقراطي ، بمعنى انه يوصل الى اسمى المشاعر والافكار ، لكن ليس باي معنى طبقي او اجتماعي او وراثي .

اكيد ان الحريات الفكرية والحريات العامة متوفرة هنا اكثر من توفرها في عدد من الدول الاخرى . لكن الحريات غير مفهومة احيانا لدى الجمهور العام ، لانه لم يتحرر بعد تماما . الحريات موجودة ، لكننا لا نزال نفتقر الى الحرية من رأي الجمهور ، الذي يرى احيانا ان في الرسوم الايروسية المتحررة بذاءةوخلاعة . مطلبنا ليس مزيدا من الحريات من الدولة ، بل ان يتحرر الشعب في داخله واعماقه وافكاره . مطلبنا حرية جنسية للشعب ، حتى يستطيع ان يرى الفن الايروسي ولا يظنه سوقيا . مطلبنا حرية سيكولوجية للانسان عندنا – وخاصة للرجل : الذي يشكو اكثر مما تشكو المرأة من انعدم التحرر سيكولوجيا وجنسيا واجتماعيا .

اكثر من مرة ، هنا وفي الخارج ، حدثت مشاكل بسبب رسومي . ظنوا للوهلة الاولى انها بورنوغرافية . ان لوحاتي ورسومي هي في الواقع محك واختبار لنفسية المتفرج وعقليته وداخليته . النوَر يرون فيها شيئا نوَريا . اغلب الناس لا يفهمونني ، ولا افهم لماذا لا يفهمونني . مواضيعي طبيعية الى حد يجعل رد فعل الآخرين نحوها غير طبيعي . لكن البعض يفهمونني حقا – بل انهم يخبرونني ان رسومي تبعث فيهم شعورا غريبا ، بانهم « حلموها » من قبل ، او عرفوها ، او « رأوها »، سابقاً ؛ كأنها شيء سحري .

انا لا اتعمد ان تكون رسومي ايروسية ؛ انها، ككل نفحة خلق ، تأتيني هكذا من غير سيطرة او تصميم . ربما كانت فيّ اكثر مما في سواي خلايا لاستيعاب هذا الاشعاع ومن ثم لعرضه . هذا النوع من الرسم خارج التيار العـــام في القرن العشرين ، وممارسوه محارَبون في العادة . لكنهم يشعرون اكثر من سواهم بشعور الوحشة والوحدة، وباشعاع الوحشة والوحدة في الآخرين .

طبعا انا نرجسية . اي خالق غير نرجسي ؟ انا دوما موضوع رسومي ، لاني قلما اجد موضوعا ، سواي ، ممتعا وملذا للرسم . لكن الواقع اني كثيرا ما ارسم آخرين ، رجالا ونساء وحيوانات وآلهة . بيد ان كل ما ارسمه ، حتى ولو كان رجلا او حيوانا او إلها ، فانه يشبهني ، مع انه فعلا غريب عني بالمرة . انا حين ارسم لست مجرد امرأة ؛ انا اندروجينية ، امرأة ورجل معا . ومن ناحية اخرى ، حتى حين ارسم ذاتي فانما ارسمها كنتيجة فعل الآخرين لي وصلتهم بي:عندما رسمت طائفة «جحيم جولياناساروفيم» لمجلة « حوار » (العدد ١٨) ، كان جحيمي نتيجة قذف الآخرين لي الى الجحيم .

في فني لا احاول ان اعبر عن ذاتي باية لغة اخرى غير لغتي انا . احاول ان اعبر عن نفسي بلغتي انا الخاصة—هذا كل ما هنالك .لولا ذلك لم يعد فني فنا .لولا ذلكلانصرفت لاشياء اخرى في الحياة ، لاي شيء عدا الرسم

طموحي ان اعرف ان اعبّر ، افضل وافضل ، عن نفسي في رسومي. هذا طموحي في الفن ، وهو طموحي في الحياة . فانا لا اميز بين الفن والحيـاة . في الفن القى الحب ، وفي الحب القى الحرية .

سلوى روضة شقير

لم يبرز ، حتى الآن ، طابع لبناني مميز ، ولم يقم عندنا فنانون لهم اسلوبهم الخاص . الفنان عندنا يبدل اسلوبه مرة كل سنة ـ لانه لم يجد نفسه بعد .

لمدة من الزمن انتشرت في الاقطار العربية فكرة الرجوع الى التراث القديم في مجال الفنون ، لكن انتشارها في لبنان كان اقل منه في مصر او العراق . فكرة الاستيحاء من الفن القديم هذه كانت شيئا جديدا بالنسبة للعرب ـ اما لاوربا فكانت شيئا قد مضى عليه الزمن ، سواء في فن الرسم ام في الموسيقى : ذلـك لان فكرة الاوربيين الفنيـة كانت قد اختلفت عن الكلاسيكية وابتعدت عنها الى حد جعلهم يعودون الى رؤية الشبه بينهم وبين القدامى .

الفنانون اللبنانيون لم يجاروا المصريين او العراقيين في استيحاء التراث . وكانوا فنيا متخلفين عنهم . منذ اوائل العقد الماضي بدأوا يتأثرون باساليب فناني اوربا ، واخذوا يكتشفون انفسهم تدريجيا .

عندنا في الحقيقة موجة ارمنية في الفن ـ فيها فنانون ارمن ، مثل بول غيراغوسيان وهرير وسواهما ، وفيها غير ارمن ، مثل امين صفير . هذه الموجة تأثرت بالفن البيزنطي ، بالايقونات . وهي تعادل وتشابه الموجات التي قامت في العراق ومصر . انها اصدق الموجات التي عندنا ، وفي فن افرادها عنصر شخصي . وقد اعطت طابعا محليا لفننا .

عندما يعيش الانسان عصره تصبح بعض التجارب الحياتية حتمية . وعندما يمارس الفنان تجارب قديمة لا تمت الى عصرنا بصلة ، لا بد له ان يصل الى السؤال التالي : « لماذا اظل متمسكا بالمفاهيم القديمة ؟ » والخلق ميزة من ميزات هذا العصر . وقد قام عندنا من مدة جماعة امثال عارف الريس وسعيد عقل ونادية صيقلي وعادل الصفير ومنير نجم ووجيه نحلة وجمانة بايزيد ـ (ولا اضع نفسي بينهم ، لاني تحررت من التبعية منذ ١٩٤٨) ـ وقد ابتدأت هذه الجماعة تفكر تفكيرا تجريديا في الفن وتبني فنها على اسس عربية تراثية تجريدية قديمة ، وما تزال تفعل ذلك . غير ان ثورة اعضاء هذه الجماعة ثورة تدريجية . ففي فنهم جدية من حيث مصدر الوحي لكنها مقرونة بلا جدية من حيث المواضيع التي يطرقونها .

انا جئت قبل زمني بعشر سنين. بعدي بعشر سنين ابتدأوا يقتربون من الفن التجريدي. لم آخذ التجريد اقتباسا عن اوربا : ذهبت الى اوربا حاملة معي لوحات تجريدية . هناك التقيت بفنانين تجريديين كانوا لا يزالون ناشئين . التقينا لان مناخهم ومناخي التقيا . التقيت بهم ، لم ادرس عليهم .

فناننا مشاكله قليلة . دوما عندنا مسابقات ، وجوائز . فناننا دائما يشتغل . في العالم كله لا نرى فنانا يتفرغ تماما لفنه ـ الا اذا عرف عالميا ـ بل نجده يضطر لأن يعمل اعمالا اخرى اضافية .

انما ليس عندنا تقييم صحيح للفنان . في اوربا ، عندما يصبح فنان ما عالميا ، تصير لهُ « بورصة » خاصة به . اية لوحة لبيكاسو بمليون ، اي شيء يحمل توقيعه بمليون ، لانه دخل التاريخ . هنا الفنان الكبير والصغير سواء بسواء : يعرضان معا ويقيّمان معا ويبيعان معا .

لفناننا الحريات كلها ، مطلق الحرية . لا قيود مطلقا ، مباشرة او غير مباشرة.

الفن في كل العصور لم يكن في متناول الجمهور . عندما قام دافينشي ومايكلنجيلو وفاغنر ، لم يفهم اعمالهم سوى النقاد الكبار والذواقين والذين يحسون بالتجديد . الجمهور لا يفهم . بل ان الجمهور الذي تنقصه الثقافة في يومنا هذا ، والذي تعجبه الكلاسيكية في الفن ، لا يفهم الكلاسيكية في الواقع : انه يحبها انما لانها تفسر ادبا . في عهد النهضة ايضا ، الجمهور لم يتفاعل مع الفن . الخادمة التي كانت تغسل الثياب كانت تجن بصورة المسيح او العذراء ، كانت تطفر الدموع من عينيها ـ انما لانها تصور لها القصص الدينية . المألوف هو الذي كان يعجب ـ لا الفن . في كل العصور ، الفن الجديد يستعصي على فهم الشعب . لكنه كان يروقه الشكل الخارجي.

حتى الآن لا يزال الكثيرون يظنون الفن التجريدي زخرفا وزينة. كثيرا ما يسألونني: ما الذي يمثله فنك ؟ فاجيب : في الجوامع ، حيث الحيطان مزدانة بالسيراميك والبلاط، ألا يعجبكم ما ترونه ؟ يقولون بلى . فاقول : مثل هذا هو فني .

الفن التجريدي يروق بعض الناس . يروق المثقفين . في السنين العشر الاخيرة اخذ الناس يحبون الفن التجريدي اكثر من حبهم لفان غوخ وبيكاسو . الجهل يبعد الانسان عن التذوق ؛ المعرفة تقربه من التذوق . السذج ايضا يروقهم الفن التجريدي . اعداؤه هم الفئة الوسط ، شبه المثقفة ، التي يستبد بها التصلب والتجمد لتقيدها بجمالية خاصة .

انا اخذت الاتجاه الهندسي في الفن ، حيث الشكل خلق والالوان خلق والتصميم خلق وكلها وحدة لا تتجزأ ، كلها تنبع من ارادتي الخاصة .انا لا اومن بالطفرية في الفن

عامة والعفوية والميوعة في الشكل ، خاصة اذا خلت من التصميم وظلت رهنا بالظروف وبالعامل اللامبالي. اما الهندسية ففيها قوة وطاقة ستوصل الفن الى ابعد من الموجة العابرة الجامدة التي قامت في السنوات الاخيرة والتي كانت الطريق الهين لكثير من فنانينا .

انا الوحيدة التي ، منذ قبل ذهابي الى باريس ، كنت مصممة على ان يكون هذا هو منهجي . في باريس لم اتأثر بمن فيها : انا طرقت ابوابهم ، انا تعرفت اليهم وتصادقت واياهم ، والآن هم من اشهر الناس ، ويعزّ عليّ اني لست معهم .

لكن أضرورية الشهرة والمادة ؟ ألم افعل ما اردت ان افعله ؟ ألم اكن اصيلة ؟ هذا يكفيني .

اقول : فعلت ما اردت ان افعله . اشتغلت كما اريد ، وبمواضيع متعددة . عملت لا ما تتطلبه مني السوق ، بل الذي يخطر ببالي . انا اول من حول لوحاته التجريدية الى سجاد في هذا البلد ؛ واول من عرض منحوتات تجريدية في هذا البلد ؛ وقد اشتغلت بجميع انواع المواد في النحت ، كالحديد والحجر والزجاج والالمينيوم والخشب وغيرها ؛ وصفت مجوهرات من فضة وذهب وطلاء . ولحسن حظي ان يكون لديّ متسع من الوقت وان اكون حرة لكي اندمج في حقول عدة في الفن . وكنت الام لاندماجي في الحقول المختلفة ، فاصبح جميع الفنانين يخوضون الآن نفس المعركة !

وكنت منذ عام ١٩٥١ اتضايق من محاولات زملائي الفنانين ، فانتقدهم بعنف . بيد انهم لم يفهموا مرادي من هذا النقد ، ظنا منهم انه لا يعجبني العجب . واكبر دليل على صحة رأيي منذ ذلك الحين هو تركهم الآن اساليبهم تلك وتقربهم الى المفهوم العالمي المعاصر في الفن .

انا ارسم لاني لو لم افعل لكنت تعيسة ، لما استطعت ان اعيش . الافكار تأتيني ، واصبح ككأس ملآنة تكاد تطفح : اذا لم اسجلها ذهبت سدى. لو لم يكن عندي شيء اريد ان اضعه باللون، لما رسمت . لن اقول ، كما يقول سواي : ان الفن رسالة ، الخ،لذلك ارسم . انا عندي فيض احساس بالعصر الذي انا فيه . عندي اشياء تعجبني ، فلا غنى عن ان ارسمها . وعندي احساس بالقرف من الاشياء المتبذلة ، احس بانزعاج من كثير من المظاهر هنا وبنقمة عليها ، وتكون في كثير من الاحيان حافزا لعمل شيء ما .

انا من النوع المثابر . لا ينقضي يوم واحد لا ادخل فيه الستوديو . اعمل فيه اربع او خمس ساعات على الاقل كل يوم ، واحيانا اربع عشرة ساعة .

لكني استطيع ان اقول انه خلال تسعة عشر عاما ، تسعة عشر عاما من المثابرة والاخلاص والتكرس ، لم يشترِ مني لبناني واحد لوحة واحدة او منحوتة واحدة .

حتى اليوم الحاضر لا نستطيع ان نتحدث عن شيء اسمه « فن لبناني » . لكننا سنتمكن بعد سنوات غير طويلة ان نتحدث عن شيء اسمه « مدرسة بيروت » في الفن. كما هو الحال في فرنسا الآن ، حيث لا مدرسة فرنسية معروفة خارج الاراضي الفرنسية ، وحيث مدرسة باريس معروفة في كافة ارجاء المعمورة .

ومدرسة بيروت لم تخرج بعد الى الوجود . لكنها في طريق التكون . وستتميز بميزة رئيسية ، هي انها ستكون متعددة الالوان والاتجاهات ، لا مفردتها .

بيروت مدينة كوزموبوليتانية ، شئنا ام ابينا ؛ فنانوها يحتكون بجميع التيارات في سائر اصقاع العالم ، يتشربون كل شيء . اللبناني متعود على التعايش السلمي ، وهو اكثر مرونة وتسامحا واقل تعصبا من اخوانه في البلدان العربية الاخرى . نحن منفتحون بطبيعتنا ، لا بمجرد حكم الظروف . نحن كوكتيل . هذا في طبيعتنا ، في شخصيتنا ، في سياستنا ، في طوائفنا ، في سائر مرافق حياتنا .

لكن لا خوف من ان يؤدي ذلك الى ضياع الشخصية . انا كلما ذهبت مرة الى اوربا شعرت باني اشد لبنانية مما كنت ، وجدت نفسي في الخارج متعصبة للبنان . كل ما نعمله يظل لبنانيا رغم اخذه من مصادر متعددة ، لانه نابع عن نفس وشخصية لبنانية .

فنانتا مطلع على احدث المذاهب في الفن ، مسهم فيها . يتبدل مذهبه من حين لحين . طبعا هناك امكانية بان يصبح اسير زيّ وموضة في الفن العالمي ، يلحقه كلما تبدل . غير ان الجمهور هو الذي يلحق الموضة ، اكثر مما يفعل الفنان . الغاليريات هي التي تعمل الموض وتغيّر فيها من حين لآخر ، لاسباب تجارية ـ هي وتجار الفن ، ونقاد الفن . الفنان آخر من يتبع موضة ـ لانه يشتغل لنفسه ، وان غش الجميع فانه لن يغش نفسه . وبعد ، ألم يتبع كثير من فنانينا مذاهب هي بعيدة كل البعد عن اذواق الجمهور وعن الوصول الى صالات بيوت المشترين ؟

الفنان اللبناني واعٍ لكل ما حواليه، في لبنان وفي العالم كله. يتابع الحياة الاجتماعية بشتى مظاهرها ، وان يكن لا يتأثر بمشاكلها . لكنه متحسس لها الى حدّ انه يشعر بان القضية الاولى في بلده ليست قضية الفن بقدر ما هي قضية تأمين المدارس للجميع ، وتوفير الماء للقرى ، وضمان رفاهية الشعب ، الى آخره الى آخره .

هذه القضايا يشعر بها الفنان كانسان ، كمواطن . لكن كيف تريده ان يشعر بها كفنان ؟ أتريده ان يرسم ماء او مدارس ؟ انا واعية لكافة مشاكلنا ، آسفة لوجودها ، ناقمة عليها ـ لكنني لا انفع لشيء الا للفن .

انا واعية للمشاكل الكبرى . نحن في عصر فضاء ومخاوف. هذا يهمني اكثر من المشاكل المحلية ، الثانوية ، الاصغر . اجده رائعا اننا نعيش في هذا العصر ، اننا حققنا هذه الانتصارات .

مشاكل فنانينا؟ مشكلتهم الاساسية انهم ينعمون بقسط من الرفاه والراحة اكبر مما يجب ان ينعموا به ، خاصة ان قارنّاهم بفناني البلدان الاخرى. يأكلون كثيرا ، يلبسون جيدا ، يقابلون الناس باستمرار ، لا تخلو حفلة كوكتيل منهم . انهم يشغلون انفسهم بالاشياء الصغيرة . ربما كان هذا ضروريا لهم : لانهم ليسوا فنانين فحسب ، بل هم ايضا وفي الوقت ذاته بيّاعون ووسطاء .

انهم يتكلمون كثيرا. عن الفن ومشاكل الفن . يتذمرون من كل شيء ، من الجمهور والنقاد والمشترين والغاليريات . لكن لماذا يهتمون كل هذا الاهتمام ؟ ليعملوا ما يقدرون عليه ، وكفى .

لا احبذ فكرة مساعدة الدولة للفنان عن طريق « التفرغ ». لانه هنا الخوف . اذ ان الفنان سيشعر اذ ذاك ولا بدّ بالامتنان ، سيحس بانه مضطر لان يرضي واهب المال ان لم يكن الجمهور ـ ولان يتبع افكارا معينة.

فنانينا اذا توفرت له سبل العيش الرضيّ ، بدون ان يعمل عملا اضافياً بعيداً عن فنه ، فأنه سيأكل عندها كالخنازير ، ويلبس اجود اللباس ، ويشرب ـ وسينسى الفن ولا يصرف عليه الا وقتاً يسيراً . الفنان ضعيف بطبيعته ، ميال للكسل والبطالة ، محب للشمس والطبيعة والرفاهية . اذا اعطي مسببات الرفاهية ، حتى ولو لحدّ قليل ، تغاضى عن الاشياء الاساسية الجوهرية .

الحريات هنا متوفرة . لكن يجب الا نكون ممتنّين لتوفرها ، لانها من حقنا . لم يهبنا اياها احد ، لنكون ممتنين له عليها . هي واجب طبيعي واولي . يجب ان تكون للفنان حريته التامة . هذه هي نقطة الانطلاق . بدون حريات لا فنانين اصيلين ، بدون حريات يصبح الفنانون موظفين ، اتباعا . نحن سعيدون لوجود الحريات هنا . لكننا نريد مزيدا منها . الحريات التي تنقصنا هنا ليست حريات من الدولة ، بل حريات اجتماعية . حريات في العلاقة بين الرجل والمرأة ، مثلا . بعض فنانينا يفضلون هجر لبنان ، لا لانهم يرسمون افضل في الخارج ، بل لان العلاقات الاجتماعية افضل في الخارج .

رديء ان يهتم الفنان بايديولوجية واحدة فردة. فهو لا يستطيع ان ينتمي الى فكرة واحدة او وجهة نظر واحدة . ويجب ان يكون تحليليا في كل شيء : في الافكار كما في الالوان والاضواء . وان يؤلف بين الاشياء المختلفة ، والا اختل التوازن عنده ، والتوازن مهم له اكثر من اهميته لسواه . يجب ان يكون موضوعيا ، متحررا . فهو كالطبيب في

الحرب : يداوي الجميع ، ولا يسأل عن سياستهم وعقائديتهم .

الفنان العقائدي الذي يخدم ايديولوجية عن طريق فنه هو اقرب الى المومس . العقائدية ليست مرنة مثل الدين ، بل هي متحجرة ، ليست صميمية حميمية كالدين. انا احتقر الفنانين الذين يؤمنون (او يتظاهرون بانهم يؤمنون) بانهم يخدمون الشعب ، الجمهور ، العامة . افضل لهم ان يساعدوا فقراء الشعب من ان يرسموا لهم فنا .

جمهورنا في جله غير متعلم ، غير متعلم اطلاقا . حين يتعلم تتقلص الفجوة بين الفنان وبينه . على الجمهور ان يرتفع الى الفن . لا يمكن ان نرفعه اليه الآن وفي عجلة . هذا يحتاج الى وقت ، والى جهود متضافرة من قبل الحكومة والصحافة والمثقفين جميعا .

فننا في لبنان وفي حوض المتوسط يتميز عليه في الاماكن الاخرى ، وخاصة في الغرب ، بانه يعمر بالخيال والغنائية والشعر ، ويستند الى الاسطورة والرؤية الباطنية .

الفن الغربي سيموت عما قريب . لان الفنان هناك في خوف دائم ـ خوف من القنبلة وما تحمله القنبلة . وحيث يكون الفنان في خوف ، فمن الصعب ان يخلق شيئا . فنه هو ثمرة خوفه ـ وهذا لا يمكن ان يكون فنا ، ان يكون اكثر من تصوير ايضاحي .

لا يخاف القنبلة الا الذين لا يؤمنون بالروح ، الذين يعتقدون ان الموت هو النهاية ، ان العدم هو النهاية . يقولون : ما دامت هذه هي النهاية ، فلماذا نخلق ؟ لذا يهتمون بالعلوم ، لا بالخلق والفن ، وما يفعلونه لا يفيد احدا .

فنحن نؤمن بالروح ، وبالصوفية ؛ نؤمن بان الجسم مجرد حامل وناقل ؛ نؤمن بالتقمص والحلولية . لهذا ففناننا الشرقي لا يخاف القنبلة : انها تنفجر ، لكنه هو يتابع حياته ـ بشكل او بآخر ، ولو كشبح . هذا التفاؤل عندنا هو الذي سيقود الفنان الى التعبير عن ايمانه بالحياة .

فنحن اقرب من الغربي الى الطبيعة ، واقل منه خضوعا للآلة ، وادنى الى الحياة الانسانية الحميمة . مهمة الفنان هي ان يتابع الحياة الانسانية البشرية ، ليثبت للناس اننا ما زلنا بشرا وناسا ، وان يجعلهم يظلون يؤمنون بالروح . وإنه فناننا ، المؤهل اكثر من سواه لان يؤدي هذه المهمة .

ان اللامنطقية هي السلاح الرئيسي في يد الفنان ـ ويد النبي . الفنان هو النبي . العلماء ورجال الصناعة هم الذين يستفيدون من الفنان ، ويجعلون اللامنطقي منطقيا .

انا ارسم لاني احتاج ان ارسم . لاني احب ان ارسم ، واجد متعة فائقة في الرسم . الاشياء الاخرى التي احتاجها واحبها واجد متعة في عملها ، هي اشياء استطيع بسهولة ان استغني عنها . لكني لا استطيع ان استغني عن الرسم ، لا بسهولة ولا بغير سهولة .

عندما ارسم يقوم حوار، بيني وبين... لا اعرف ماذا. ليس حوار امع العالم، بل مع ما هو اهم من العالم . هذا الحوار ضروري ، مبرر وجود . انه يجعلني ادرك اني حية فعلا.

طموحي ان استعمل في لوحاتي الاقل الاقل من الالوان والخطوط والاشكال، واقتصر فيها على الضروري والاساسي . هذا ما احاول ان افعله الآن ، وقد نجحت في التخلص من قسط كبير من الاشياء ، لكنني لم اصل بعد لما اهدف الى الوصول اليه . هذه ليست ابدا مسألة تمرين او تكنيك . سأستعمل الحد الادنى ، وسأصل الى الجوهري والاساسي، عندما ارى هذا في كل شيء من حولي — في المناظر ، في الاشياء ، في الاشخاص . عندئذ سأصل الى شيء هو اقرب الى ان يكون شبح الشيء او خيال الشيء . عندئذ اكون اكثر رضى عن عملي الفني.

شفيق عبّود

حضرة الاستاذ توفيق صايغ ،

يوم استلمت رسالتك تسألني فيها الجواب على بعض الاسئلة الفنية (منها : ما هو الفن اللبناني ، وما هو الفنان اللبناني، وما هي مشاكله في رأيك ، الخ ...) ما كنت افكر ان الصعوبة للرد عليها ستكبر عليّ يوما بعد يوم .

اني من الجماعة الذين يعملون دون التفكير في مسائل اميل بطبيعتي الى اعتبارها خارجة عن الفن والى تحميل انتاجي ، ان جاء موفقا ، مسؤولية الجواب عليها . وطرح السؤال يضع على شعوري الفني غشاشة اخشى فعلها السيء. وكأن احساسي يشط الى ما هو خارج نطاق الفن ، وينتج عندي شلل في الابداع عرفته اكثر من مرة كلما حاولت طيّ عملي حل مشكلة من هذا النوع . اني امارس فني منذ عشرين سنة ، وانا اليوم على يقين ان احسن ما انتجت انتجته في حالة تقارب اللاوعي ، نسيت فيها من انا ومن اين طلعت والى اي هدف ارمق . لذلك يبدو لي ان لجوابي اهمية ثانوية في الحقل الخلقي ، فارجوك وارجو القارىء ان يعذر تقصيري عن التعميق في درس تلك المشاكل ، واعتبار ما يلي رؤوس اقلام تبين تقريبا موقفي من هذه الامور .

الفن اللبناني يبدو لي حاليا كفكرة وامل ، اكثر منه واقعا ظاهرا. فما من مرة دار الحديث حول هذا الموضوع الا ولاحظت عند محدثي صورة لا يمسها شك عن «فن لبناني» معلوم ومرجع ثابت ، ولكن سريعا ما يتبين لنا ان هذا الفن ليس له حقيقة راهنة . فان قلت «الفن الفرنسي» او « الفن الهولندي » مثلا، ظهرت لي فكرة معينة محدودة، في حين ان الفن اللبناني لا يكوّن في مخيلتي صورة متماسكة منفردة .

ولا يدهش هذا الوضع الا من تناسى حداثة الوعي الفني في بلدنا . فممارسة فني النحت والرسم عندنا لا تتجاوز نصف القرن ، وليست قبل ذلك الا قرون غامضة صامتة انقطع اثناءها التراث الحي . قام في اوائل القرن هذا بعض الرسامين ، وقصدوا باريس وروما حيث تلقنوا قواعد فنهم ، وعادوا الى بلدنا وفي متاعهم نظريات موروثة عن ثقافة غريبة عنا تصور عالما ما اعتادت اعيننا ومخيلاتنا عليه . ولا اقول ذلك تصغيرا لفضلهم ، فقد اخذوا على عاتقهم احياء فكرة الفن وجعل محاولة التعبير الفني ممكنة. ثم تلاهم جيل الفنانين اخواني — اخذنا عنهم ورحنا بدورنا نبحث عن كيفية استغلال هذا التراث وصهره باحساسنا الخاص للتعبير عن مشاكلنا . هذه حقيقة تاريخ فني النحت والرسم في لبنان . وفيه ما يدعو الى بعض التريث والتواضع . فهذه فترة من الزمن قصيرة للغاية لاظهار مميزات هذا الفن وتحديد قالبه الخاص. (انما الواقع والمهم في نظري حقيقة الوعي الحاضر في لبنان والاهتمام الصحيح عند اللبناني بما ينتج عنده وعند غيره ، وتكاثر عدد الفنانين الشباب ومواهبهم الواضحة واخلاصهم مما يجعل بعث فن في لبنان ممكنا. ونلاحظ ان حالة مثل هذه ليس لها سابق في مضمار فنون الرسم عندنا) .

لذلك نجد صعوبة بالغة لتحديد قيم « فن لبناني » ومحاولة حصرها وليس لدينا انتاج كاف للنظر فيه ودرسه . واميل الى القول ان قيم الفن تستخرج بعد تحقيقه لا قبل البدء به . فالتفاعل بين تراث ما وتحقيق فن معاصر ليس خطا مستقيما سهلت قراءته . ولا يكفينا مثلا الاستعجال بانتخاب موضوع لبناني ومحاولة رسمه لتسمية ذلك فنا لبنانيا . فجوهر الفن لغته لا موضوعه . ولم يصل الفن اليوم في لبنان الى لغة خاصة . لو كان للموضوع اهمية لجاءت لوحة دولاكروا « دخول السلطان الى مكنس » تحفة فنية عربية خالصة . واعتقد ان الالتجاء الى تقليد شكلي لفن سابق لا يكفي ان لم تُخلق لغة جديدة لاحياء هذا التراث.

الفن في لبنان وغير لبنان على منعطف الطرقات : وعي قومي يربطه باحساس خاص وعطش الى عبارة فذة، وفي الوقت نفسه لا يسعه نكران انتسابه الى عالم معاصر تطورت فيه طرق المعرفة وتفهم الحقائق المجاورة . فسهولة المواصلات وسرعة الافادة جعلت الالتصاق بالعالم المعاصر حكما لا مفر منه . فمشاكل الفن في لبنان لبنانية ان اردنا ، ولكنها حتما من القرن العشرين . وليس من فن قومي يمكن قيامه اذا لم يتعدّ فوكلوريته. ولكن وقف في وجه هذا التعدي ومحاولة التعبير الشخصي عن المشاكل المعاصرة واستملاكها، وقف الواقع بانه ليست لدينا طرق وليست لنا اساليب، وليس عندنا تراث تكنيكي خاص للتعبير . وقد ينفرد فن الرسم بان لماديته اهمية كبرى . فلاستعمال اللون الزيتي او المائي مثلا ، ولطرق استعماله ، علاقة وثيقة بالاحساس الفني ، كأن روح هذا الفن تلتصق

تماما بماديته .

لذلك يفاجأ الفنـان المبتدىء عندنا بفراغ تام في هذا المضمار . فليست لدينا تقاليد موروثة ولا قـالب محدد لتمثيل العالم المحاوط ، بل يفاجأ هذا الفنان بتضارب وتناقض التمثيلات المعروضة عليه ضمن الثقافة الفنية اللبنانية . وما زالت الى اليوم طرق التعليم بالاجمال قائمة على اسس قديمة وتكنيك يناسب تحقيق لوحات القرن السادس عشر الاوربي ولا علاقة لها بعبارة فنية معاصرة .

وقد ضاق المجـال هنا لطرق موضوع اسس لغة فنية لبنانية او لمحاولة التقرب منها . ولكن عندنا ولو قليل نتكل عليه في هذا البحث : ان لكل بلد نورا يحمل سره العميق ، والاحساس بهذا النور سر الفنـان وباعث اخلاصه . ونلاحظ اهمية النور عندما نحاول تحليل ما سبق في منطقتنا من فنون في العصور الماضية . نرى ان الشرق شرح النور باستعمال اللون الصريح مثلا ، في حين ان الغرب يدس النور من تلاعبه على الاشياء . فالنور نقطة ابتداء عندنا ونقطة وصول عند الغرب . ونتيجة لذلك اهمل الفن الشرقي مسألة الجو التي نالت عند الغرب الاهتمام الكامل . وقد نلاحظ اليوم عند فناني الشرق المعاصرين تفضيلهم اللون الفارق ، لحل مشكلة الاحجام في اللوحة ، على استعمال اللون التدريجي . وجاء هذا التفضيل طبيعيا غريزةً . وما لهذا الموقف تعليل الا بالقبول باهمية النور المجاور واثره في تكوين رؤية العالم والمجال الفني . ومثل هذه الملاحظات الكثير ، ولكن توجب البحث عنها بدقة وتجريبها واختبارها في المحترف لا في تفكير مجرد واستخلاصات منطقية لاقيمة لها في مضمارنا هذا . والفنان ليس عالم اجتماع ولا فيلسوفا ، انما يأخذ الوانه وفرشاته ويرسم ما « يرى » . وهذه الرؤية قائمة على فهمه النور والمجال الخاص به ، وقد لا يصل اليه الا بعد عراك طويل ربما تناول اجيالا من الفنانين . لذلك اعتقد ان افضل الطرق للوصول الى « الفن اللبناني » هي الثقة بفنانينا وباخلاصهم والاعتماد على انتاجهم لتحديد هذا الفن .

وفي الختام كلمة عن عملي الحاضر . اود ان يأتي انتاجي ككتاب ادوّن فيه مذكراتي ، كما لو ان كل لوحة صفحة من هذا الكتاب ، فهي الشهادة لما يحيط بي وللاحداث الداخلية والخارجية في حياتي . واني لا اعتقد ان انتاجي يتحمل نعته « تجريديا » بالمعنى الصحيح ، اعتبارا انه محاولة تعبير عن حيـاة يومية ومظاهر ملموسة . ولكن هذه العبارة مكونة ضمن محاولة كسر المجـال الفني التقليدي الموروث عن عصور الانبعاث الاوربي ومحاولة اقتراح مجال جديد مهدد التوازن مفتوح الآفاق يسمح بحرية العبارة الخاصة بعالمنا اليوم . واني اسهر كل السهر على ان تبقى اداة التعبـير عندي محصورة ضمن لغة فنية اصلية ، متحاشيا استعمال ماديات غريبة ، فما من اكتساب وتجديد صحيح في مضمار الفن الا ما يأتي

من الداخل .

يبقى ان في اللون وفي استعماله سرا تعجز الكلمات عن التعبير عنه. واباحته لا تأتي الا عن طويق النظر الى اللوحة والدخول اليهـا . وقد يكون هذا هو الموضوع الاساسي ، ولكن طرقه مستحيل عليّ الا اذا اخذت فرشاتي والواني وتركت قلمي . كما انه لا يسعني الشرح منطقيا عن تأثير لبنان ونوره على انتقاء اداة تعبيري .

شفيق عبود

پُـول غـيراغوسـيان

ليس في لبنان ، ولا في اي بلد عربي آخر ، مدرسة خاصة . ذلك لان الفن عندنا فردي . عندما يصير جماعيا ، فهناك امل في ان يجد نفسه .

الفردية في الفن تأتي في الاحساس فقط . امـا تكنيك الفن وصنعته فجماعيان . في جميع الحضارات الفنية ، كانت الصنعة شيئا والاحساس شيئا آخر . عند الفراعنة ، عند العجم ، عند الاسبان ، عند الهولنديين ، في النهضة ، كان لكل فنان احساسه الخاص ، لكن التكنيك كان ذاته عند الجميع .

الخطأ عندنا ان كل فنان يريد ان يخلق لذاته احساسه الخاص به ، وايضا تكنيكه الخاص به .

قبل خلق مدرسة فنية يجب خلق صنعة وتكنيك . ليست لدينا الآن لغة تصويرية ، نعبر بها عن انفسنا . كل منا يريد ان يخلق لغته الخاصة به ، ليعبر عن نفسه بها ويتكلم بها.

وبالتالي لا « فن لبناني » ، لا « مدرسة بيروتية » . لان كل فنـان يحاول ان يصنع صنعة خاصة به منفردة عن سواه . هذه طريق غلط ، كما يعلمنا تاريخ الفن .

على الفنانين العرب ان يعودوا اليـوم الى اصلهم ، الى الماضي . ان يعملوا « مدرسة صناعية » ، اي تكنيكا خاصا بهم . ان يقيموا صنعة ، مهنة ، من الالف الى الياء ، ويمشوا بناء عليها . بعدئذ كل واحد يأخذ حريته . الحرية تأتي بعد الصنعة .

الالوان التي نستعملها ، قياسات اللوحات ، القماشة ، هي ادوات غربية . يجب ان نعود الى ادواتنا نحن : الى فسيفساء الحيطان ، الى زخرفة الخشب ، الى الفازات ، ومـا شاكل . المهم ليس اللوحة الزيتية في الصالون — هذه لن توصلنا الى شكل شرقي . عندما تصبح لدينا ادواتنا الخاصة وصنعتنا الخاصة نصل الى الفن المطلوب .

للفن فوائده ، حتى الاجتماعية ، والتهذيبية . اذا عمل كل واحد صنعة جديدة خاصة قامت في الفن بلبلة ونقصت فوائده هذه . قوة الفن ليست في الصنعة الفردية ، بل في فردية

الاحاسيس والنظرة الى الاشياء . منذ اربعين سنة ومعظم الناس لا يفهمون الفن . اذا قام فريق وشكل مدرسة ، قوي الفن ، وتقوى تذوق الناس له ، وزادت قوة الفنان تجاه المجتمع والناس والحضارة .

ليس بين الفنان والمجتمع علاقة متعمدة مباشرة . الفنان فنان لانه ولد فنانا — هذا ليس بيده . غير ان هنالك علاقة غير مباشرة ، وعليه واجبات غير مباشرة . اذا كان فنه قويا ، كان فنه بحد ذاته موجها للشعب. انه يوجه الشعب دون ان يدري . انه محكوم عليه منذ البدء بان يوجه الشعب .

هذا التوجيه روحي ، ذوقي ، جمالي — ليس سياسيا او اقتصاديا . انه يهب راحة للنفس والروح، ينحّف الانسان داخليا ، يخرجه عن الحيوانية ويدخله في العالم الروحي ، يؤدبه ويهذبه ، يمنعه من الجرائم والبذاءة ، يدفعه في عالم الانسان الحق .

الفن ليس شيئا عمليا — لكنه يوجه السياسة قبل السياسة . انه من الضروريات الاولية . البلد الذي ليس فيه فن ليس فيه سياسة مضبوطة .

المجتمع يوجه الفنان من ناحية الوجود الذي هو فيه . الفنان ينظر الى الوجود بعجب ودهشة اكثر مما يفعل سواه في المجتمع . انه يستفيد من حركة الكون ، يراها بوضوح اشد . المجتمع لا يفيد الفنان بشكل متعمد . الفنان يرى النقص في المجتمع ، ويسد هذا النقص والفراغ . المجتمع هو الوجود ، والوجود هو المعلم الاكبر للفنان .

الفنان الصحيح هو حزب المعارضة ضد المجتمع ، ضد كل شيء . لا غنى له عن ان ينتقد . انه في صميمه ضد هذا الوجود ، الثقيل تارة والجميل تارة . يحب الوجود ، يقبل به — لكنه يرى نقائصه ، ويثور ضدها . احيانا يسترخي امام الطبيعة، واحيانا يندهش بها — لكنه يثور كل دقيقة عليها، يراها غير ما يريدها هو ان تكون. ثورته ثورة داخلية صميمية دائمة . حتى حين يعبر تعبيرا غنائيا بسيطا ، فانما هو ناقد وثائر

الحرية في التصوير نقيض الحرية. اذا قتل الفنان حريته الفردية الانانية ، اصبح عندئذ حرا صحيحا فعلا . كلما انتج افضل وصرف على فنه وقتا وجهدا اكثر ، قتل حريته الشخصية اكثر . اذا صرف وقته يشم الهواء ويعاشر المجتمع ، لم يبقَ حرا كفنان . اذا قتل جسمه وكرس كل شيء لفنه ،لم يلتذّ كغيره جسمانيا — لكنه ازاداد حرية، واعطى الملأ حرية اكبر .

الفنان الذي يضرب ضربتين على اللوحة ويقول : انا ارسم بحرية ، مخطىء . انه غير حر . الحرية في اللوحة هي في العمل الكثير عليها ، وفي الخلفية .

الحر هو الذي داخل القفص ؛ المتعذب . الحرية لا تأتي هكذا ، بلا جهد . ثمرة الحرية

وراءها عذاب كبير وتضحية جسيمة . بدون تضحية لا حرية . للحرية ثمن باهظ جدا . انها تكسر الرأس .

عندما ينتج الفنـــان انتاجا اصيلا يكون قد اسهم في خلق الحرية السياسية . ليس ضروريا ان يرسم رجلا حاملا معولا ، بل ان يرسم المعول (او غير المعول) رسما جيدا. عندما يكبر الفنان يكبر المجتمع كله ، والامة ، والسياسة ، والحرية . انه ينوّر شعبه ، ويعطيه حرية . يجعـل شعبه ارهف حسا — وعندئذ تزداد مطالبته بالاكل وبالحريات وبامور الحياة الافضل . انه جبراً يجعل شعبه يكبر ، هذا شيء لا بد ان يحصل . يصبح الشعب عندئذ اكـثر حنكة بقضايا السياسة والاقتصاد والصناعة . كلما ارتقى الفن في الشعب زادت امكانيات الحرية .

اذا كان ثمة ضغط على الحريات وعلى الفن ، بحيث لم يعد في وسع الفن ان يعمل هذا كله — فمعنى ذلك ان الحضارة حضارة شاذة وانحطاطية وغير مضبوطة في اساسها .

الفن السليم ينتج حضارة سليمة ، وبالتالي مجتمعا سليما وسياسة وحرية سليمتين . الفن غير السليم ينتج حضارة وسياسة وحرية غير سليمة .

مشكلة الفنان في لبنان مثل مشكلته في كل مكان في العالم . فهو مضطر الى ان يقضي جزءا كبيرا من عمره في التعليم في المدارس ، او في عمل تزيينات سخيفة لواجهات بنايات، او في تسخير فنه عامدا متعمدا لدعايات شركات تجارية — ليكسب فلوسا ، فلا يعطي الا اصغر قسم من وقته وجهوده لفنه . ان الملاكم المحترف لا يكون ملاكما عُشر الوقت فقط . المجتمع ، او الحكومة ، يجب ان يؤمن للفنان الاصيـل المنتج سبل العيش ، لا ان يجعله موظفا او معلما او هاويا .

طموحي الاول ان اتقوى واتعلم من ناحية اللون ومن ناحية المعرفة . ان اعرف الحياة اكثر . لان الحياة كما قلت هي المعلم الاكبر . نقصي اني لا احتك بالحياة ، لا اعيشها ، او اعرفها ، كما يجب . احيانا اشتغل في مختبر مرسمي وقتـــا طويلا ، واحتكاكي بالطبيعة يخف . املي الوحيد ان افهم الطبيعة اكثر ، واحوّرها ، واتركهـا تحوّر ذاتهـا . لا ان انقل الطبيعة ، بل ان اتمعن فيها . هذا ينقصني انا — ويخيل لي انه ينقص اغلب فناننا .

لا يهمني ان يكون لي بيت وفيلا . اذا قيض لنا وسط فني ونتاج فني وبيئة فنية ، فهذا هو الفيلا وهذا هو البيت .

انا الآن ضائع ، من ناحية فنية . احتـــاج ان اقوّي شكلي ونفسي بالواني وبالحقيقة الفنية . طموحي ان اصل لان اكون فنانا صادقا مخلصا . قلقي اني لست الآن هذا الحدّ كافٍ ، واني لا اعرف ما الذي سأعطيه .